قراءة أسلوبية في قصيدة (اعرف الحب ولكن) لأحمد مطر

المدرس المساعد مها هلال

جامعة ذي قار / كلية الأداب / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

١- تناول البحث قصيدة اعرف الحب ولكن دراسة اسلوبية . اذ هي القصيدة الوحيدة في هذا المضمار ، اذ لم نجد لاحمد مطر اي نص شعري اخر في ديوانه يتناول الجانب العاطفي ، لذلك هي تعد وثيقة مهمة من الوثائق التي تعطي الاسباب الحقيقة وراء اختفاء هذا الجانب المهم في ديوانه

٢- حاول احكد مطر ان يعتمد اساليب متنوعة في نصه الشعري ، اذ عمد الى استعمال اسلوب التشخيص الاستعاري الى جانب التجسيم الاستعاري

٣- عمد الى استعمال اساليب ايقاعية مثل التجنيس والتضاد والتوازن الصوتي والتكرار ، اضافة الى استعمال عنصر المفارقة .

Abstruct

1- The research studied the poew(Know love but…) staylistic study .It is a single poem in this dowain . We don't find for Ahmad Mutter another text in his divan ,which stdy sentimental side . So it is consider like an important document which give us the real causes .

2- Ahmad Mutter try to use various stayles in his poetic text

3-He used a rhythwic stayles like paronowasia , antibiosis , tonic blance and repetition .

فكرة القصيدة :-

أذا أتفقنا مع بارت على ان النص نسيج ، وفيه فكرة توليدية يتخذها النص لنفسه وينشغل بها من خلال تشبيك دائم ، وان الذات أذا تكونت ضائعة في هذا النسيج ، تنحل فيه كما لو أنها عنكبوت تذوب في نفسها في الافرازات البانية لنسيجها[١] . ففكرة قصيدة (اعرف الحب ولكن) مجسدة في أثبات هذه الحقيقة المعنونة من قبل الشاعر ، والتي حاول أثباتها على طول بنية النص الشعري متأكداً من أن المعرفة ألاكيدة لشؤون الحب تخذل وتضمحل إذا كان ثمة ما يعيقها . فالفكرة بسيطة في المبنى ، عميقة في المعنى ، متوصلاً بالمتلقي إلى تقدير حقيقة قد تكون إلى جنب هذا الطرح أو خلافه مستدلاً بشواهد فيما يتعلق بنجاح الحب ولعل مرده إلى وجود قلب نابض بالحقيقة والصدق ولكن أذا كان قلب الشاعر فاقداً لهاتين الصفتين فمن الاستحالة مواصلة هذا الحب ويؤيد ذلك ويؤكدة بعدم أمتلاكه لقب مستعار يحاول به التحايل والتلاعب بقلوب الاخرين .

ننتقل معاً لإيضاح عنصر بنائي ومكون أساس من مكونات النص الشعري وهو العنوان الذي يعد "طقس الشروع في فضاء القصيدة " [٢] فهو" رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها ، وتجذب القارئ اليها ، وتغريه بقراءتها ، وهو الظاهر على باطن النص ومحتواه " [٣] فهو علامة سيمائية ولعبة يقصد الشاعر منها زرع تصورات متعددة عند المتلقي بوساطة أعتماد الصدمة والدهشة التي تولد خيبة أمل في حالة عدم تطابقها مع أحتمال التوقع.[٤]

وظاهتر عنوان النص (أعرفُ الحبَّ ولكن) يوحي للوهلة الاولى ان الشاعر يعرف كل متعلقات الحب أما (لكن) فأنها تعطي فسحاً تأملية أمام المتلقي إذ تضع مؤشرات أوعراقيل معينة للحيلولة دون تحقيق هذا الحب . فالعنوان يوحي

بهذا التأويل وغيره فقد يكون كالاتي:-
تضع مؤشرات أوعراقيل معينة للحيلولة دون تحقيق هذا الحب . فالعنوان يوحي بهذا التأويل وغيره فقد
يكون كالاتي:-

الاحالة

إعرف الحب ولكن	١	أستطيع ...
إعرف الحب ولكن	٢	لظروف معينة حالت دون إكماله ..
إعرف الحب ولكن	٣	لم أجد من يحبني
إعرف الحب ولكن	٤	وجدته وضاع
وتستمر إلى عدد	(٥) (٦) (٧)	وقد تكون أكثر

فعبارة (اعرف الحب) توحي بقطعية لاشكّ فيها في معرفته بالحب ، طرقه وأساليبه همومه ، أحزانه ... الخ أما لفضة (لكن) فأنها لاتوحي بهذه القطعية الحتمية ؛ لأنها وكما عرضنا لها تفتح باب التأويل خاصة ان التحديد لم يصبها في عنوان النص .

يحاول النص منذ البدء إثبات معرفة الشاعر بالحب وهذا ماعرضنا له في عنوان النص ، ثم يبدأ بيان حدود هذه القضية ، وتوضيح مساراتها واهم العراقيل التي أعترضت طريقها وحاولت دون نجاحها .

فالمقطع الاول يعرض الشاعر فيه لسان الحال هذه الأنثى المعذبة المنتظرة يقول:[٥]

---

١) ينظر : لذة النص : ١٠٩ .
٢) الشعر العربي الحديث : بناياته وأبدالاتها : ١٣١.
٣) شعرية العنونة :٢٦ .
٤) ينظر : سيناريو القصيدة وقصيدة السيناريو :٩٣ .
٥) الاعمال الشعرية الكاملة :٢٥٧.

هتفت بي : أنني مت أنتظاراً
شفتي جفت
وروحي ذبلت
والنهد غارا
وبغاباتي جراح لاتداوى
وبصحرائي لهيب لايدارى

فهي تعرض بصورة مباشرة أهم العلامات الموحية بالضعف والانكسار الناتج عنه خيبة الامل ، فالشفة قد جفت ، والروح قد ذبلت ، والنهد قد غار ، ولعلها التجأت الى رمز الجمال الانثوي منطلقة منها الى أستعمال الرمز بدلاً من التصريح في وبغاباتي جراح لاتداوي رمزاً الى المشاعر الانسانية وتشبيها بالغابات فيه مانستدل به في الكثافة وتشابك الاشجار وزادحامها، أما الجراح فهي لاتداوى أولاً لسعة مشاعرها وثانياً لطول الفراق وما يتمخض عنه من أنكسار حقيقي لديها . وبمراعاة مبدأ التوازن الصوتي يتدرج في عرض صورة لاتختلف عن سابقتها كثيراً ليحيل بالدال (الصحراء) إلى مدلول (القلب) الملتهب الذي لايستطيع أحد مداراته أو بالاحرى أطفاءهُ .

وبغاباتي / جراح / لا / تداوى
بصحرائي / لهيب / لا / يدارى

ولايخفى ما لظاهرة التوازي من سمة ترتيبية إيقاعية ، حتى ان السامع ليثيرة الترتيب الإيقاعي

ومن التوازي إلى اسلوب الاستفهام على لسان الانثى يقول :[١]

فمتى يا شاعري
تطفئ صحرائي احتراقاً ؟
! ومتى تدملُ غاباتي أنفجاراً

اذ يسمي أسلوب الاستفهام الاستنكاري فضاء النص عبر تكرار أدوات الاستفهام الذي يعمق الصورة من جهة ، صورة الانثى المتعلقة بالشاعر ، ويطرح المشكلة من جهة أخرى المشكلة المتمثلة في الفراغ الذي تعانيه ، والامل اليائس في تحقيق الأمل الضائع . فمتى شاعري توحي بأستمرار تساؤلها المعهود ، والمقطع الثاني الاستفهام على التقدير : فمتى تطفئ صحرائي أحتراقاً ؛ لاستباقه بأستفهام سابق (صريح) . والمفارقة واضحة في الجمع بين الا نطفاء من جهة والاحتراق من جهة أخرى والانفجار المتمم للاحتراق ، أوهو صورة أوسع من الاحتراق ولعل الشاعر يحاول الاخذ بالترادف اللغوي كما في (تطفئ وتدمل) ولعل دلالة كلّ منهما تؤدي الى الانتهاء والانطفاء .

ينتقد بأسلوب التشبيه إلى تصوير الاحلام الوردية لدى أنثاه يقول : [٢]

أنني أعددت قلبي لكي مهدا
ومن الحب دثارا

فهي تجعل قلبها بمثابة المهد له ، أما الحب فهو الدثار أو الغطاء له ، ولعلها هنا تعمل على تشبيهه بطفل يأوي في حضن أمه ، وبحنانها وحبها تضمه . فالتشبيه هنا لم يأت لرسم الاشكال والالوان محسوسة بذاتها كما نراها وانما لنقل الشعور والالوان من نفس الى نفس . [٣]

---

(١) الاعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٧ .
(٢) الاعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٧.

(٣) ينظر : الديوان في الادب والنقد : ١/ ٢١
وأمانيك أسارى
ويواصل حاله الشاكي يقول : [١]

وتأملت مراراً
وتألمت مراراً

فالتجنيس الذي يعد ظاهرة إبراز عبر درجة قصوى من التشابه : أي أنه تعميق للفرق عن طريق التشابه وعلى محورين مختلفين للفرق الدلالي والتشابه الصوتي ؛ ولانه كذلك فأن الفجوة : مسافة التوتر فيه أكثر حدة وبروزاً ، وهو أكثر خلخلة لبنية التوقعات لدى المتلقي . [٢] فكان الجناس متمثلا في : (وتأملت وتألمت) وبين (الامل والالم) باع طويل الى درجة أنه لا التقاء بينهما . أضافة الى ذلك أن الصيغة نفسها تدل على تكرار الى جنب التكرار اللفظي في (مرارا) ألذي نستطيع أن نعده جناساً تاما ، وبالتالي فأنه دوره لايغفل في توسيع فضاءات الترجيع الصوتي بِعَدِّهِ نبعاً من منابع التكرار الغزيرة . [٣]

ومن الامل والالم المتكرر تصطدم بما وجدت عليه شاعرها المترقب يقول : [٤]

فأذا نبضك أطلاق رصاص
وأغانيك عويل
وأحاسيسك قتلى

فنبض الشاعر كأطلاق الرصاص في قسوته وجموده ، وأغانيه التي جاءت رمز للاحلام والامال التي تستدعي التفاؤل وأذا العكس فعويل وصراخ ، أما الاحاسيس فأنها قد قتلت أيحاء يموتها وأنتهائها فلا رجاء منها ثم أمانيه فأنها كا لأسارى المقيدة لاحول لها ولاقوة . فتشبيهاته متأثرة بالحرب نفسها ، فرصاص والعويل والقتل والاسر ثم لايكتفي بهذا فقط وأنما يعطي الناتج الطبيعي لكل حرب يقول : [٥]

وأذا أنت بقايا
من رماد وشضايا
تعصف الريح بها عصفاً وتذروها نثارا

فالرماد والشضايا هي مخلفات لديها من هذه القصة اليائسة ، ولعل (الانثى) نجحت في تشبيه حالتها بحالة الحرب . ولايخفى مافي دلالة الفعل (تعصف) من عقاب على لسان الانثى كنوع من توجيه العذاب والعقاب اليه ، والتكرار الذي لحق الفعل (تعصف) في مفعوله المطلق (عصفاً) وأسناد هذا الفعل الى (الريح) التي لاترد الى في مواضع العقاب والانتقام . [٦]

وبأسلوب تقريري تقرر نتيجة أكدتها بداية ، ولكن هذه المرة أصبحت متأكدة من عبثية أنتظارها . يقول : [٧]

أني عبثاً متَّ أنتظارا

ثم يبدأ الشاعر بأسلوب جديد المتمثل بالدعاء ، يحاول به أسترضاء وتخفيف معاناة هذه الانثى اتجاه أنتظار اليأس لهذا الحب . يقول [٨]:

رحمة الله قلبك ياأنثى

---

(١) الاعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٧.
(٢) ينظر : في الشعرية : ١٠٢ .
(٣) ينظر : مستويات البناء الفني في شعر بن الخياط الدمشقي : ٥٧.
(٤) الاعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٧ .
(٥) الاعمال الشعرية الكاملة :٢٥٧ .
٦) ينظر : التعبير القرآني : ١٧.(
(٧) الاعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٧ .
(٨) الأعمال الشعرية الكاملة :٢٥٧

وتأخير المدعو له (الانثى) وتقديم الدعاء (الرحمة) يعطي أهمية كبيرة : لان تناول الرحمة الانثى جزاءً لانتظارها وحبها الكبير تجاهه . [١]

ولد أ بدي اعتذارا
أعرف الحب ... ولكن

ولايخفى دور التنقيط الفاصل بين الجملة (أعرف الحب) ولفظة (لكن) لما يؤدي من دور دلالي هام في تشكيل مجال أوسع في فهمي هذه المعرفة غير المحدودة فقد تكون فيما يخص الآمة وأحلامه وفنونه وطرقه ... الخ، ولكن هنا سترصد لنا في مابعد أسباب عدم التمكن من نجاح هذا الحب ومواصلته يقول : (٢)

لم أكن أ ملك في الحب أختيارا

فأستعماله لحرف (لم) الذي ينفي ويجز ، ويقلب ، يؤكد لنابه عدم أمتلاكه أي أختيار في هذا المجال . ولكن لنتعرف أكثر على هذه القطيعة(٣)

كان طوفان الآسى يهدر في صدري
وكان الحب ناراً
فتوارى :
كان شمساً ..
وأختفى لما طوى الليل النهارا
كان عصفوراً يغني فوق أهدابي
فلما أقبل الصياد طارا

أخذ الشاعر يجسد حالته النفسية ، من خلال تجسيد الأسى بصورة الطوفان الهادر في صدره . والصدر لايتسع للطوفان وهذا مؤكد ؛لأن ثمة تنافراً بين سعة الصدر وبين سعة الطوفان ، فالطوفان جاء لتأكيد وتوضيح أن ما يمرَّ به من أسى هو أكبر بكثير من حجم صدره . ولعل تداخل

الصورة التجسيمية في صورة أخرى يعطي تجسيدا أكبر عن أليم المرارة في داخله ليس فقط

على صعيد الحب بل على صعيد المستوى الانساني برمته .

ثم يردفنا بثلاثٍ من أروع الصور التشبيهية في تشبيه هذا المعنى السامي (الحب)، الاولى في تشبيه الحب بالنار في حقيقة الشعور الصادر من المحب (ألم عميق يجتاح النفس برمتها والروح بأسرها فلا مفر منه ؛لأنه أي الحب هو نار بلا أشتعال) وعلى هذا فأن الحالة الشعورية التي يتطرق لها ليست من العبثية منه ، ولولا ذلك لما مثله بالنار . ومالبث الحب الا توارى وأختفى ولعل بين التواري وبين المشبه به (النار) أختلاف بعيد وهي ترجع الى الحب نفسه أكثر من

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٧

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

رجوعها على لفظة (النار) ، وهذا خلاف ماوجدناه في الصورة الثانية والثالثة. فالصورة الثانية ناتجها تشبيه الحب بالشمس ، ووجه الشبه واضح وأن أخفاه ، أما الفعل الناتج عن التشبيه فهو (أختفى) والاختفاء فعل ملازم لغروب الشمس المرهون بتعاقب الليل والنهار . والحال نفسه في تشبيهه الاخير ، تشبيه الحب بالعصفور الذي يغني فوق الاهداب ، والفعل (طار) ومدى الارتباط الوثيق بين العصفور والطيران الى جنب التشبيه كان السند في تصوير الحالة ، وهو التشخيص في أضفاء خفة الغناء للعصفور من جهة والتجسيم في الاهداب جاعلاً لها هيئة مكانية من خلال (فوق) أحد الاتجاهات الاربعة . فالشاعر أنطلق من أبسط التراكيب البلاغية المؤدية الى خلق صورة [١]. وعلى هذا فالتشبيه له الأثر البارز في تشكيل الصورة الشعرية لما له من طاقات تعبيرية جسيمة[٢]

ومن التشبيه الى اطلاق الآهات[٣] :

اه لو لم يطلق الحكام
في جلدي كلاباً تتبارى
اه لو لم يملأوا دمي زيتاً
وأنفاسي غباراً
اه لو لم يزرعوا الدمع
جواسيس على عيني بعيني
ويقيموا حاجزاً بيني وبيني
اه لو لم يطبقوا حولي الحصارا

اذ كرر لفظة (آه) ثلاث مرات ، لما في أسلوب التكرار من السمات الأسلوبية الباعثة

على خلق التكثيف الدلالي في بنية النص الشعري ودوره في بناء القصيدة العضوي ، أضافة الى تشكيله نغماً أيقاعياً مقصودا من قبل الناظم في شعره (١) فتكراره لفظة آه (له دلالة الالم نتيجة المعاناة التي حفل بها على يد (الحكام) الذي جاء رمزاً للمسؤولين الجائرين ، ولعل (الكلاب) هنا رمز للهموم والاحزان التي حاول هؤلاء (الحكام) زرعها في نفسه (قلبه) وعقله وهذا ما أكده في المقطع التالي (آه لو لم يملأوا مجرى دمي زيتا) (وأنفاسي غبارا) هي ترمز الى أختناق مجرى الدم بالزيت وهذا بعيد ولكنه

---

(١) ينظر : دير الملاك : ٢٤٥.

(٢) ينظر : مقالات في الشعر الجاهلي : ٢٦٣

(٣) الاعمال الشعرية الكاملة ٢٥٨

(٤) ينظر : جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب :٢٣٩.

يوحي به الى صعوبة الحياة ومرارتها والذي يؤكده أنفاسه المملوءة بالغبار وكلنا نستطيع أن نتخيل صعوبة التنفس في ظل غبار بسيط فكيف اذا كانت انفاسه نفسها غباراً. ولعل الصورة هنا تعاني من تأزم حقيقي وأختناق دلالي واضح . ثم جسم الدمع بلفظة (يزرعوا) الذي يعمل كالجواسيس على عينه ولكن جاسوس العين رمز عند الخوف المتسلط عليه والمانع له أن يضَّر بنفسه .

والتكرار المتناوب في (عيني بعيني) و (بيني وبيني) جاء لزيادة التنبيه والتعظيم الذي يصل الى درجة أقامة هؤلاء (الحكام) حاجزا بينه وبين نفسه ، والحاجز جاء رمزا لتأزم الامور في داخله حتى يصل الامر به الى أن يفصل بينه (الروح) وبينه الأخرى (القلب) الذي هو رمز للمشاعر الانسانية .

ومن أطلاق الآهات والألام الى أسلوب أخر ، يحاول أثبات عدم الفشل في معرفته بالحب ، فالشاعر فيما يبديه من أراء هو في محاولة للرد على هذه الانثى ولكنه هذه المرة يشعرنا ... لننظر مايقول:[١]

ولو أحتلت على النفس فجاريت الصغارا
وتناسيت الصَّغارا

فالاحتيال على النفس أول خطوة في سبيل تحقيق الحب الضائع ، بالمجاراة من جانب والتناسي والتغاضي من جانب أخر ، فالمجانسة بين (الصِّغار) و (الصَّغار) جاءت لخدمة الدلالة أذ أنه جمع بين لفظتين متشابهتين في اللفظ مختلفتين في المعنى فالاولى تدل على صغير الامور وبسيطها أما

الثانية فأنها تدل على كبير اللأمور وعظيمها . ويستمر واصفا طريقته فيما لو أنه أحتال على النفس يقول[٢] :

لتترلت بأشعاري على وجد الحيارى
مثلما ينحلّ غيم في الصحارى
ولأغمدت يراع السحر في النحر
وفي الثغر
وفي الصدر
وفي كل بقاع البرد والحر

(١) الاعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٨ .

(٢) نفسه .

يستعمل أسلوب التشبيه التمثيلي ، أذ يحاول أن يشبه صورة بصورة أخرى ، فالصورة التي حققها هو

لتنزلت بأشعاري على وجد الحيارى
(المشبه)
مثلما
(أداة الشبه)
ينحل غيم في الصحارى
(المشبه به)

أما وجه الشبه ، فهو أن أشعاره في تأثيرها على عقول الحيارى مثل المطر وتأثيره في أرض جرداء ، فالغيم رمز للمطر الراوي للارض .

وهاهو يثبت تلك القدرة المقتدرة على أغماد (يراع السحر .....) أذ جسم السحر بأضفاء جسم اليراع عليه هذا أولا ثم أعتماده لهذا اليراع يخلق نوعا من عدم التناسب بين الفعل (الغمد) وبين المفعول به (يراع) ، لان الفعل أغمد للسيف وليس لليراع ولكنه حاول أن يجعله في هيئة السيف المغمد في النحر والثغر والصدر .

أذ يحاول اختراق أكثر من مكان لاثبات ما أراد أثباته،ألى أن يصل الى حد الغلو والمبالغة في ذلك :

وَهَيَّجْتُ جنون الرغبات الحمر
حتى تصبح العفة عارا !
ولأشعلت ولأنطقت الحجارا ولخبأت أمرؤ القيس البحارا
ولألغيت نزارا

ولانعرف كيف يصل الامر بالعفة أن تصبح عاراً ، ولعله نفسه يتعجب من ذلك بدليل علامة التعجب في نهاية البيت .

وأستعمال المداومة المتمثل في "تكرار النماذج الجزئية بشكل متتابع أو متراوح بغية الوصول الى درجة عالية من الوجد الموسيقي "[٢] وهذا ماوجدناه في الافعال (ولأشعلت ولأنطقت ولخبأت ولألغيت) . الى جنب التوازن الصوتي المتحقق في (ولأشعلت البحارا) (ولأنطقت الحجارا) أذ أضفى تجسيما على البحار وتشخيصا على الحجارة . ثم لطافة الصورة الى مافيها من غلو فإذابه يخبي أمرؤ القيس في جيبه ويلغي نزارا كناية عن تمكنه بطرق الحب وفنونه الأمر الذي يصل به ألى ألغاء رواده المتمثل بأمرؤ القيس من الجاهلية ونزارقباني من الحديث .

(١) الاعمال الشعرية الكاملة :٢٥٨-٢٥٩.

(٢) ظواهر أسلوبية في شعر شوقي: ٢١١

وبأستعمال (لو) يستمر في أستدراج التمني في أطلاق الحرية لنفسه لكي يثبت ماحاول إثباته سابقا وهذا ماعبر عنه بقوله [١] :

آه لو لم يطبقوا حولي الحصارا
ولو أستمرأت أن اطلق للنفس العذارا
لاستفزت شفتاي الكرز الدامي
بأطباق العذارى
ولزادته ارتواء
ولزادته أحمرارا

والشفاه لاتُستفز ولكنه أسند لها فعل الاستفزاز ، فقام بأنسنتها وهذه الشفاه تستفز (الكرز الدامي بأطباق العذارى) وهذه العبارة ترمز الى شفاه العذارى المرتوية بالدم ، فشبه الشفاه بالكرز الدامي والكرز على حده يدل على لون الاحمرار فكيف أذا أضاف له لفظة (الدامي) ليدل به على مدى الارتواء الذي يحققه هو في استفزاز الشفاه التي هي رمز أخر الى تقبيله ولكن هنا جاء الفعل ليثبت دلالة دلالة عدم تقبيل الشفاه لرغبته في ذلك بل العكس فهو في حالة استفزاز ورد على أنثاه التي استفزته بقولها(أنت لا تعرف الحب) (وأني عبثا مت انتظارا) ، ولا يخفى دور التكرار اللفظي في (زادته) من خدمة دلالة المعنى إضافة إلى الترادف في (الارتواء والاحمرار) لان كل ارتواء يؤدي إلى احمرار وكل احمرار نتيجة الارتواء . ثم التوازن الإيقاعي بين العبارتين . ويحاول

(١)الأعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٩ .

استعراض إبداعاته في هذا المجال ، ولعلها لديه من الإبداعات ، ولكنها تعكس استفزازا وردا وقتيا يقول (١) :

ولأرسلت يدي ترعى ...

فتخفي مابدا ، هصرا ، وتبدي ما توارى

ولأيقظت السكون العذب

في غابانهنَّ البكر عصفاً واستعاراً

ولأرقصت القفارا

ولألقيت على خلجناهنَّ الموج

حراً مستشاراً

فيصارعن اختناقاً

ويصارعن انبهاراً

ثم يستلقين تحت الزبد الطاغي

يغالبن الدوارا

وباستعمال التضاد ولما له من أثر فاعل في توجيه التماس المباشر بين لفظين متعاكسي الدلالة ، الأمر الذي يخلق شدا ينعكس على الإيقاع (٢) . إذ قابل بين (فتخفي مابدا) (وتبدي ما توارى) والدلالة واضحة في أثبات تميزه وتمكنه في حالتي السر والإعلان . ثم التشخيص في إضفاء صفة (الإيقاظ) إلى السكون والتجسيم في إضفاء صفة العذب على السكون أيضا وهي صفة من صفات الماء . مستمرا في استعمال عنصر التجسيم في الغابات والتشخيص في (أرقاص) القفار التي هي رمز للعذارى المتيمات به... إلى أن بهن إلى حالة مصارعتهن الاختناق من جهة والانبهار من جهة أخرى وفي هاتين الصورتين دلالة كبيرة على اختناق العذارى وهنا ينتفي أن يكون قد أستولي على قلوبهن هذا أولا وثانيا أنهن في حالة تعجب لما فعل بهن هذا الإنسان (الشاعر) من حالة الاحتيال على العقول أولا وعلى الأجساد ثانيا

---

(١)الاعمال الشعرية الكلملة ٢٥٩.

(٢) ينظر : رماد الشعر :٣١٨.
فالاستسلام للشاعر لم يكن عن قناعة قلبية بل عن انهيار عقلي لم يدم طويلا بدليل مغالبتهن ومحاولتهن الصمود بوجه (الدوار) الذي أصابهن .

ولعل هذه الثورة سرعان ما خمدت ، فبعد أن أفاض في أطلاق لسانه ونفسه لتعبث وتلهو بهذا المعنى السامي حاول التخلص مما علق به من أدران الأفكار والرجوع بخطوات موزونة ومعتدلة إلى ما كان عليه يقول (١) :

أعرف الحب أنا

لكن حبي

مات مشنوقا على حبل شراييني

بزنزانة قلبي!

لاتظني أنه مات أنتحاراً

لاتظني أنهُ داليةٌ جفَّتْ

فلم تطرح ثماراً .

لاتظني أنه حب كسيح

لو به جهد على المشي لسارا

لاتظني

وأصفحي عنه وعني

وهاهو يقرر أخيراً وينطق بمعرفته للحب بلفظة (أنا) ، التي لم يصرح بها أطلاقا في المرات السابقة أما لكن هنا فمبررة ومعللة للأسباب التي حالت دون أكمال الحب من جهة والحيلولة دون أن تأخذ الحبيبة تلك النظرة السطحية عنه ، لان الحب وقبل كل شئ هو أحساس عميق يربط بين روحين ،

---

(١) الاعمال الشعرية الكاملة : ٢٥٩.

وجدت كل واحدة نفسها في الأخرى . وأول عللة هو موت حبه مشنوقا على حبل شراينه ، فسياق النص للبيت قد تظافر فيه أكثر من عنصر دلالي ، فالتشخيص بإضفاء صفة الموت شنقا والتجسيم في تصوير شراينه بهيئة الحبل . فهو أراد أن يصور مدى البشاعة التي قتل فيها هذا الحب ليتخذها وسيلة هادفة في أقناع الأخر . أما زنزانة قلبه موضع اغتيال حبه ، كانت رمزا للسجن الكئيب ولعل هذا من مكتسبات الاضطهاد والتعذيب الذي يتعرض له في سجنه الحقيقي .

وباستعمال أسلوب التكرار في أربع مواضع في قوله : (لاتظني) أراد التنبيه إلى عدم الظن مطلقا بعدم مصداقية هذا الحب بدليل ماألتمسه من صور حاول بها أثبات ذلك فالأولى يطلب عدم الظن يموت حبه منتحرا لأن الانتحار يدل على الموت المتعمد نتيجة يأس في مسألة ما، والثانية أن لاتظن أنه دالية جفت ولم تعط ثمارا ، وهذا يعني أنه أعطى الثمار وهذا ماغاب على لسان اللغة ولكنه مطروح في سياق المعنى النصي للبيت. والثالثة لاتظني أنه حب كسيح ودلالة(كسيح) واضحة في عدم التمكن من المشي ثم يعقبها بالمفارقة في قوله (لو به جهد (لو جهدعلى المشي لسارا)

ولعل المفارقة أقرب ما تكون إلى أسلوب التضاد السلبي فهو يثبت حاله ثم ينفيها مرة أخرى وهي تدل على عدم الثبات في داخل نفسه أو هو التأرجح بين أمرين لاتستقر كفة لأحدهما .

والرابعة لم يسندها بصورة تاركا لها أن تجمع ما تريد حتى تتوصل إلى هذه القناعة ، طالبا الصفح عنه وعن هذا الحب بأسلوب يستحق معه الصفيح منها . أن التكثيف في إسناد أفعال الإنسان إلى غيره من المحسوسات يشير القيمة الانفعالية ومدى تغلغلها في نفس الشاعر من جهة والتصاق المشاعر القوية والحادة بالمنظورات التي تكون جزءا من وساطة تهدف، من دون تخطيط مسبق إلى مشاركة الشاعر انفعاله الوجداني من جهة أخرى (١) . وهذا قد وضح في مداعبته للأوتار في المسرح ، أو على المسرح الذي هو (دال) حاضر يحيل عن المعنى المعروف للمسرح (الهزل و السطحية) وبالأحرى هذا هو الشائع. أما (المدلول) الغائب فهو العقل لدى الشاعر ، ولنتصور معا عقله بمجريات ضاحكة ساخرة أشبه ما تكون بحالة سيرك ثم تأتي صحوة لهذا الهزل تمثلت بمداعبة الأوتار التي هي رمز

---

(١) الاعمال الشعرية الكاملة : ٢٦٠.

الأحلام والذكريات ثم، تعقب المداعبة نشوة للأحلام وهو ما عبر عنه السياق (وأنشأت أغني) غير أنه لم يكد يبدأ حتى يطلق خلفه عشرون كلبا أو بالأحرى خلف لحنه ، وعلى الأرجح إنها

الهموم المتعاقبة واحد تلو الأخر للحيلولة دون ارتياح وابتهاج واستذكار يقول [١] :

أنا داعبت على المسرح أوتاري

وأنشأت أغني

غير أني

لم أكد أبدأ حتى

أطلقوا عشرين كلبا خلف لحني

تملأ المسرح عقراً ونباحاً وسعارا

ويقرر ان ما يمتلكه ليس سوى قلب واحد ،

وهذا الأخير قد تدمر لكثرة ما عاث به العقر

دمارا قائلا[٢]:

وأنا الراكض من ركن لركن

لي قلب واحد

عاث به العقر دمارا

و بأسلوب التقديم يعزف لنا أنشودته الجديدة ، والمنبثقة عن الآمه وأحزانه (٣) :

أنا أعزف دمعاً

وأنا أشدو دماءً

وأنا أحيا احتضارا

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة : ٢٦٠

(٢)المصر نفسه .

فالفاعل واحد (أنا) والأفعال متأخرة ، ليدلل

بهذا التقديم اهتمامه بنفسه هذه المرة أكثر

من أي شئ أخر . والمزج واضح إلى حد المهارة فيما لا ترابط بين الأفعال من جهة

والصفات من جهة أخرى ولكنها مقنعة أحالتها على دلالات مقنعة .

خاتما نصه الشعري بقوله [٣]:

وأنا في سكرتي .. لا وقت عندي

كي أغني للسكارى

فأعذريني

أن أنا أطفأت أنغامي

وأسدلت الستارا

أنا لا أملك قلبا مستعارا

وها هو في حالة الاحتضار ولا وقت لديه لكي يغني للسكارى التي هي رمز للعذارى والتجنيس الاشتقاقي ودوره على شد انتباه القارئ الى لفظة (سكر) من خلال (سكرتي و للسكارى) طالبا الاعتذار الذي حاول عدم إبدائه بداية العتاب فيما بينهما .

رحمة الله على قلبك يا أنثى

ولا أبدي اعتذارا

أما هنا فهو يعتذر صراحةً ، إن هو أطفأ الأنغام وأسدل الستار على حبه ، معللا ذلك بعدم امتلاكه سوى قلب واحد ولن يستعيض عنه بالاستعارة مطلقاً .

ولعل الانغلاق الذي ابتدأت به القصيدة انتهت به دونما رجعه ، ولكن على الرغم من ذلك فأن القصيدة عالجت موضوعاً هاماً الأمر الذي نستطيع معه أن نتقبل اعتذاره مع أنثاه اليائسة .

وفي نهاية المطاف نود أن نقرر أهم النتائج التي حفل بها هذا البحث :

١- يعد نص (اعرف الحب ولكن) احد لافتات الشاعر العراقي أحمد مطر لسنة ١٩٩٣ والتي تعرض جانبا من حياة أحمد مطر الوجدانية ، وتجيب عن تساؤلات قد تطرح في هذا الجانب

٢- كان النص عبارة عن بناء قصصي حواري حقق نوعا من التماسك والتنامي

٣- المسند بعلاقات فنية لها الدور الفاعل في إقامة الترابط والانسجام بين أجزاء القصيدة .

٤- استعمال أسلوب التشخيص الاستعاري إلى جانب أسلوب التجسيم الاستعاري بكثافة اذ حاول من خلالهما تصوير أحاسيسه ومشاعره تصويراً حياً ودقيقاً .

٥- استعمال أسلوب التشبيه بعده احد المحاور المهمة للجهد البلاغي الموسع ، نجد استعماله جنبا إلى جنب مع العنصرين السابقين .

٦- استعمال أساليب متنوعة كان لها الدور الكبير في إبراز دلالات معينة إلى جنب خلق إيقاعات تنغيمية متميزة وكانت هذه الأساليب متمثلة في (التجنيس والتضاد والتوازن الصوتي والتكرار..)

٦- كان للمفارقة دور في إبراز مجال دلالي موسع .

Related Articles
http://thiqaruni.org/arabic/62.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/63.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/45.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/49.pdf
http://thiqaruni.org/arab4/16.pdf